

ما تجري عليه الأمم المتقدمة خصوصاً وكلهم الآن من أهل الرغبة المختارين .
وقد زدنا في حجم المقتبس بحيث يقع مجلده آخر السنة في ثمانمائة صفحة جيدة
الطبع والورق وكان في السنتين السالفتين ستمائة وأستين وسبعين صفحة
واستكثرنا من المواد التي تقتبس منها أو نعرب عنها من مجلات وموسوعات
أجنبية وأسفار ممتعة عربية مع ابقاء قيمة الاشتراك بحالها . والله نسأل ان
يحقق آمالنا لنقوم ببعض الواجب وهو يهدي السبيل .

الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري

توطئة للناسخ

من اعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهو فن
ذو افنان تحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها . ومع قلة ما انتشر من كتبه في جبالها
من عدم التفتيح والنجاسات ما يصد كثيراً من الطالبين عن الاقبال عليها . ومن ثم
كثرت بحشنا عن كتب لابي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة مزدوجة وهو اقصى
آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدنا الاول .
ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٢٣٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعاً
استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الضالة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير لعبدالله بن
المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكسبتها بخطي في نحو يوم وارجو ان يسر لشربها
من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق .

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور : (١) كتاب عجائب امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع
الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف صاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد
اوله « الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد اسعفتك بالمجموع الذي

التقته في نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته واعمامه وعماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك « وهو اثنا عشرة ورقة وفي آخره: وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة (٣) رسالة الى احمد بن ابي دؤاد في فضل العلم وهي ٣ اوراق وفي آخرها: وكتب في شهر ربيع الاول سنة عشرين واربعمائة (٤) ويتلوه كتاب الادب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) ويتلوه كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جاوردان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف احمد بن مسكويه وهو في اكثر من كراس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقت الامور اقدارها وهياً الى الغايات سبلاً . وسبب الحاجات ببلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل الى دركها العقل الصحيح . وأمانة صحة العقل اختيار الامور بالبصر . وتنفيذ البصر بالعزم . وللعقول سميات وغرائرها ثقبيل الادب وبالادب نهي العقول وتزكو فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر على ان تلحح يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض بزهرتها ونضرتها وريعها ونشاها الا بتعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليبس والموت ويحدث لها باذن الله القوة والحياة فكذلك سليقة العقل مكتونة في مغرزها من القلب لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذي هو نماؤها وحياتها ولقاحها . وجل الادب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من انواع اسمائه الا وهو مروى متعلم مأخوذ عن امام سابق من كلام او كتاب وذلك دليل على ان الناس لم يبتدعوا اصولها ولم يأتهم علمها الا من قبل العليم الحكيم . فاذا خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم وان ابلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموياً واكليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبيه مما يزيد به بذلك حسناً فسمي بذلك صانعاً رفيقاً — وكهانة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يحجب الناس من الحلي والآتية — وكالفحل وجدت ثمرات اخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجب به اعجاب المخترع المبتدع فانه انما اجتنبه كما وصفنا .

ومن اخذ كلاماً حسناً عن غيره فنكلم به في موضعه على وجهه فلا يرين عليه في ذلك ضؤاً وله فانه من أعين على حفظ قول المصيبين وهدى للاقتداء بالصالحين ووفق للاخذ عن الحكماء فلا عليه ان لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه ولا بغائصه من حقه ان لا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه وانا حياة العقل الذي يتم به ويستحكم خصاله ست : الايثار بالحبية . والمبالغة في الطلب . والثبوت في الاختيار . والاعتقاد للغير . وحسن الوعي . والتعهد لما اختير واعتقد . ووضع ذلك موضعه قولاً وعملاً .

اما الحبة فانما يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من امر الدنيا والآخرة حين يؤثر بحبته فلا يكون شيء أمراً ولا احلى عنده منه . واما الطلب فان الناس لا يقتنيهم حبهم ما يحبون وهوام ما يهوتون عن طلبه وابشغائه ولا يدرك لم يقتنيهم تفتشتها في انفسهم دون الجهد والعمل . واما الثبوت والتخير فان الطلب لا ينفع الا معه وبه فكم من طالب رشيد وجده والغني معاً فاضطيق منهما الذي منه عيب والغني الذي اليه سعى فاذا كان الطالب يحوي غير ما يريد وهو لا يشك بالظفر فما احقه بشدة التبيين وحسن الاقتفاء . واما اعتقاد الشيء بعد استبانه فهو ما يطلب من احراز الفضل بعد معرفته . واما الحفظ والتعهد فهو تمام الدرك لان الانسان موكل به السيان والغفلة فلا بد له اذا اجتنب صواب قول او فعل من ان يحفظه عليه ذمته لا وان حاجته واما البصر بالموضع فانما نصير المنافع كلها الى وضع الاشياء مواضعها وبنا الى هذا كله حاجة شديدة فانما لم نوضع في الدنيا مواضع غناء وحفظ ولكن موضع فاقة وكدة ولنا الى ما يملك بارماقنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى ما ثبت عقولنا من الادب الذي به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الادب في نبات العقل . ولنا بالكفة في طلب المنافع الذي ياتس به دفع الضرر والعيلة باحق منا بالكفة في طلب العلم الذي ياتس به صلاح الدين والدنيا .

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً يراعون على عمارة القلب وصقلها وتجليه ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير ودليل على تعامل الامور ومكارم الاخلاق ان شاء الله .

الواصفون اكثر من العارفين . والعارفون اكثر من الفاعلين . فليفتظر امرؤ اين يضع نفسه فان لكل امرئ لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللب يعيش به لا يجب ان له به من الدنيا ثناء . وليس كل ذي نصيب من اللب يستوجب ان يسمى في ذوي الالباب ولا ان يوصف بصفتهم . فمن رام ان يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف اهلاً فليأخذ له عتاده وليعد له ملول ايامه وليؤثره على اهوائه فانه قد رام امراً جسيماً لا يصلح على الغفلة ولا يدرك بالهجرة

ولا يصير على الاثره وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك منها المتوافي ما يفوت المتأثر ويصيب منها العاجز ما يحظى به الحازم

وليعلم ان على العامل امورا اذا ضيعها حكم عليه عقله بمقارنة الجهال . فعلى العامل ان يعلم ان الناس مشتركون مستوون في الحب لما يوافق والبغض لما يؤذى وان هذه منزلة اتفق عليها الحق والاكياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال هن جماع الصواب وجماع الخطي وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة والعجزه

الباب الاول من ذلك

ان العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم ان احق ذلك بالطلب ان كان مما يحب واحقه بالانقاء ان كان مما يكره اطولاه وادومه وابقاه فاذا هو قد ابصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروءة على لذة الهوى وفضل الرأي الجامع العام اندي تصلح به الانفس والاعتقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلا ثم يضمحل وفضل الاكلات على الاكلة والساعات على الساعة

والباب الثاني هو ان ينظر فيما يؤثر من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه فلا يجعل انقائه لغير المخوف ولا رجاءه في غير المدرك فيترك عاجل اللذات طلبا لا آجلا ويحتمل قريب الاذى توفيقا لبعيده فاذا صار الى العاقبة بدا له ان فراره كان تورطا وان طلبه كان تنكبا .

والباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة بفضل الذي هو ادوم وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف فان طالب الفضل بغير بصر نائه حيران ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانة محروم . وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والابانة لها والتشكيل بها .

اما المحاسبة فيحاسبها بما لها فانه لا مال لها الا ايامها المحدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة وما جعل منها في الباطل لم يرجع الى الحق فينبه لهذه المحاسبة عند الحول اذا حال والشهر اذا انقضى واليوم اذا ولى فينظر فيما افنى من ذلك وما كسب لنفسه فيه وما اكتسب عليها في امر الدين وامر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه احصاء وجد وتذكير وتبكيك للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن

واما الخصومة فان من طباع النفس الامارة بالسوء ان تدعي المعاذير فيما مضى والاماني فيما بقي فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها

واما القضاء فانه يحكم فيما ارادت من ذلك على السيئة بانها فاضحة مردية موبقة وللعنة

بأنها زائنة منجية مرجحة . واما الابانة والتكبر فانه يفسد نفسه بتذكر تلك الحسنات ويرجو عواقبها وتأمل فضائها ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والبشع بها والافتقار منها والحزن لها . فافضل ذوي الالباب اشد هم لنفسه بهذا اخذاً وافلهم عنها فترة وعلى العاقل ان يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً ذكرها يباشر القلوب ويقذف الطامح فان في كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر واما نأبذن الله من الملح

وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأي وفي الاخلاق وسيفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدر او في كتاب ثم يكثر عرضه على نفسه وبكلفها اصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً من اصلاح الخلقة او الخلقين والخلال في اليوم او الجمعة او الشهر فكما اصلى شيئاً معاً وكلما نظر الى ثابت اكتب

وعلى العاقل ان ينفق محاسن الناس ويحفظها ويحسبها ويصنع في توظيفها على نفسه وتعمدها بذلك مثل الذي وصفنا في اصلاح المساوي

وعلى العاقل ان لا يتحاذن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع الا ذا فضل في الدين والعلم والاخلاق فيأخذ عنه او موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وان لم يكن له عليه فضل وان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمي الا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو اقرب اليه واحب ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته ولذلك زعم بعض الاولين ان صحبة بليد تشأ مع العلماء احب اليهم من صحبة لبيب تشأ مع الجهال .

وعلى العاقل ان لا يحزن على شيء فاته من الدنيا او تولى وان ينزل ما اصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب ولا بدع حفظه من السرور بما اقبل منها ولا يلفن سكرًا ولا طغيانًا فان مع السكر التسيان ومع الطغيان التهاون ومن نسي وتهاون خسر

وعلى العاقل ان يؤنس ذوي الالباب بنفسه ويجريهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه فيستقيم الى ذلك ويرجع له قلبه ويعلم انهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على نفسه ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات ساعراً يرفع فيها حاجته الى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره وساعة يحل فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويحرم فان هذه الساعات عون على الساعات الاخرى وان استجمام القلوب وتوابعها زيادة قوة لها

وقضل بلغة وعلى العاقل ان لا يكون راغباً الا في احدي ثلاث خصال تزود لمعاد او مرمية لمعاش او لذة في غير محرم

وعلى العاقل ان يجعل الناس طبقتين مختلفتين شابنتين ولبس لهم لباسين مختلفين طبقة من العامة يلبس لهم لباس اقتباس وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد ولبس لباس الالسة واللفظ والبذلة والمفاوضة ولا يدخل في هذه الطبقة الا واحد من الف كلهم ذو فضل في الرأي وثقة سيفه المودة وامانة في السر ووفاء بالاخاء

وعلى العاقل ان لا يستصغر شيئاً من الخطايا في الرأي والزلل في العلم والاغفال في الامور فان من استصغر الصغير اوشك ان يجمع اليه صغيراً وصغيراً فاذا الصغير كبير وانما هي تلم بلثها العجز والتضييع فاذا لم تسد اوشكت ان تنفجر بما لا يطاق ولم تر شيئاً قط قد آتى الا من قبل الصغير المتهاون به

قد رأينا الملك بوثق من قبل العدو الخفيث ورأينا الصحة توثق من الداء الذي لا يحفل به ورأينا الانهار لتبقى من الجدول الذي يستخف به — واقل الامور احتمالاً للضياغ الملك لانه ليس منه شيء بضيع وان كان صغيراً الا اتصل باخر يكون عظيماً

وعلى العاقل ان يمين عن الرأي الذي لا يجده عليه موافقاً وأن ظن انه على اليقين . وعلى العاقل ان يعرف ان الرأي والهوى متعاديان وان من شأن الناس تسويق الرأي واسعاف الهوى فيخالف ذلك ويلتمس ان لا يزال هواء موقفاً ورأيه مسعفاً

وعلى العاقل اذا اشبه عليه امران فلم يدر في ايهما الصواب ان ينظر اهما واعنده فيحذره . من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه وثقوبها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والاخذان فيكون تعليمه يسيره ابلغ من تعليمه بلسانه فانه كما ان كلام الحكمة يوثق الاسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب ومعلم نفسه وموآدبها احق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس وموآدبهم

ولاية الناس بلاة عظيم

وعلى الوالي اربع اخصال هي اعمدة السلطان واركانه التي بها يقوم وعليها يثبت — الاجتهاد في التفكير — والمبالغة في التقدم — والتعهد الشديد — والجزاء العتيد

اما التفكير للعمال والوزراء فانه نظام الامر ووضع مؤونة البعيد المنتشر فانه عسى ان يكون تفكيره رجلاً واحداً قد اختار الفاً لانه من كان من العمال خياراً فيختار كما اختير ولعل عمل العامل وعمل عماله يبلغون عدداً كثيراً فمن تبين التفكير فقد اخذ بسبب وثيق

ومن اسس امره على غير ذلك لم تجد لبنائه قواماً . واما التقديم والتوكيل فانه ليس كل ذي لب او ذي امانة يعرف وجوه الامور والاعمال ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً ان بكل ذلك الى علمه دون توقيفه عليه وتبيينه له والاحتجاج به عليه . واما التعهد فان الوالي اذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً وان العامل اذا فعل ذلك به كان منحصناً حريزاً واما الجزاء فانه ثبتت الحسن والراحة من المسيء .

لا يستطاع السلطان الا بالوزراء والاعوان ولا تنفع الوزراء الا بالمودة والتصحية ولا المودة الا مع الرأي والعفاف واعمال السلطان كثيرة وقليما تستجمع الخصال المحموده عند احد وانما الوجه في ذلك والسبيل اليه الذي يستقيم به العمل ان يكون صاحب السلطان عالماً بامور من يريد الاستعانة به وما عند كل رجل من الرأي والفناء وما فيه من العيوب فاذا استقر ذلك عنده عن علم وعلم من يأتمن وجهه لكل عمل من قد عرف ان عنده من الرأي والتجدة والامانة ما يحتاج اليه فيه وان ما فيه من العيوب لا يضر بذلك ويحفظ من ان يوجه احداً وجهاً لا يحتاج فيه الى مروة ان كانت عنده ولا يأمن عيوبه وما يكره منه ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عالم ولتقصد امورهم حتى لا يخفى عليهم احسان محسن ولا اساءة مسيء .

ثم عليهم بعد ذلك ان لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقرؤا مسيئاً ولا عاجزاً على الاساءة والعجز فانهم ان تركوا ذلك تهاون بالحسن واجترأوا المسيء وفسد الامر وضاع العمل . اقتصاد السعي اتقى للجهام وفي بعد المهمة يكون النصب ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان . سوه حمل الغنى ان يكون عند الفرج مرحاً . وسوه حمل الفاقة ان يكون عند الطلب شراً . وعار الفقراء من عار الغنى . والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة . والدنيا دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . اذا جعل الكلام مثلاً كان اوضح لمنطق واين في المعنى وآتق للسمع واوسع لشعوب الحديث .

اشد الفاقة عدم العقل . واشد الوحدة وحدة العجوز . ولا مال افضل من العقل . ولا أنس أنس من الاستشارة — مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس ان يكون اذا استعجب المذنب ستوراً لا بشيع واذا استشير سمحاً بالتصحية مجتهداً للرأي واذا استشار مطرحاً للحياه ومعتزفاً للحق .

القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحو ان يمنه حارس ومنه معروس فالخارس العقل والمعرّوس المال .

والعقل باذن الله هو الذي يحوز الحظ ويؤنس الغربة ويبنى الفاقة ويعرف النكرة ويثر

المكسبة ويطيب الثمرة ويوجه السوق عند السلطان ويستنزل السلطان نصيحة السوق
ويكسب الصديق وينفي العدو

كلام اليب وان كان نورا ادب عظيم ومعارفة الماسم كان محققا للصحة والجليلة
واقفا الاخوان وان كان يسيرا غم حسن

قد يسعى الى ابواب السلطان اجناس من الناس كثير اما الطالح فمدفع واما الطالح
فمعتقم واما ذو الادب فطالب واما من لا ادب له فمعتبس واما القوي فمدافع واما
الضعيف فمدفع واما المحسن فمستثب واما المسي فمستجير فهو جمع البر والفاخر والعالم
والجاهل والشريف والوضع

الناس الا قليلا من عصم الله مدخولون في امورهم فقاتلهم باغ - وسامعهم عياب -
وسائلهم متعنت - ومجيبهم متكلف - وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل - وموعوظهم
غير سليم من الاستخفاف - والامين منهم غير متحفظ من اتيان الخيانة - وذو الصدق غير
محترس من حديث الكذبة - وذو الدين غير متورع عن ثربط التجارة - والعازم
منها غير تارك لتوقع الدوائر - ينافضون البني - ويرقبون الدول - ويتعاطون التبع -
ويتعاضون بالغمز - ويرعون في الرخاء بالتحاسد - وفي الشدة بالتعاضد

ثم قد انتزعت الدنيا من قد استمكن منها واعتكفت له فأصحت الاعمال اعالم
والدنيا دنيا غيرهم واخذ متاعهم من لم يعمدهم وخرجوا الى من لا يعذرهم فأصبحنا خلقا من
بعدم نتوقع مثل الذي نزل بهم فحين اذا ندرنا امورهم احقاه ان ننظر ما نعبطهم به
فننبهه وما نخاف عليهم منه فنحنبه

كان يقال ان الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بثقله وينهى عن الشيء ويبتلي
بشبهه فاذا كنت لاتعمل من الخير الا ما اشتيت ولا تترك من الشر الا ما كرهت فقد
اطلعت الشيطان على عورتك وامكنته من ازمته فكأوشك ان يقم عليك فيما تحب من
الخير فيكرهه اليك وفيما تكرهه من الشر فيحببه اليك ولكن ينبغي لك في حب ما تحب
من الخير التعامل على ما يستقل منه وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب
لما تحب منه

للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الالباب والحكيم من لم يفض عليه طرفة ولم
يشغل به قلبه اطلع من ادناه فيما وراءه وذكر في بدئه لواحق شره فأكل مرة وشرب
كدره ليحولي له ويضو في طول من اقامة العيش الذي بقي وبدوم غير عائف للرشد ان
لم يلقه برضاء ولم يأته من طريق هواه

لأنألف المستوح ولا تقم على غير الثقة . قد بلغ فضل الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوح ما لو ان احسبهم خطاً واقلمهم منه نصيباً واضعهم عملاً والعجزهم عملاً واعياهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص اليه من فضله ووصل اليه من نعمته ما بلغ له منه اعظمهم حظاً واوفرهم نصيباً وافضلهم عملاً واقوامهم عملاً وابسطهم لساناً لكان عما استوجب الله عليه مقصراً وعن يلوغ غاية الشكر بعيداً ومن اخذ بحظه من شكر الله وحمده ومعرفة نعمه والثناء عليه والتحميد له فقد استوجب بذلك من ادائه الى الله والقربة عنده والوسيلة اليه والمزيد فيما شكره عليه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة

افضل ما يعلم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح ان يستلج بما اوتي من ذلك ما استطاع من الناس و يرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكيمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليه وان يتبين الذي لم من الاخذ بذلك والذي عليهم في تركه وان يورث ذلك اهله ومعارفه ليحققه اجره من بعد الموت

الدين افضل المواهب التي وصلت من الله تعالى الى خلقه وانظمها منفعة واحمدها في كل حكمة فقد بلغ فضل الدين والحكمة ان مدحا على السنة الجاهل على جهالتهم بهما وعام عنهما

احق الناس بالسلطان اهل الرأفة واحقهم بالتدبير العلماء واحقهم بالعلم احسنهم تأدياً واحقهم بالغنى اهل الجود واقربهم من الله انقذهم في الحق علماً واكملهم به عملاً واحكمهم ابعدهم من الشك في الله تعالى واصوبهم رجاء اوثقهم بالله واشدهم انتفاعاً بعلمه ابعدهم من الاذى وارضاهم في الناس افشاهم معروفوا واقوام احسنهم معونة واشجعهم اشددم على الشيطان والنجيم بالحجة اغلبهم للشهوة والحرص واخذهم بالرأي اتركهم للهوى واحقهم بالمودة اشددم لنفسه حياء واجودهم اصوبهم بالعطية موضعاً واطولهم راحة احسنهم للامور احتيلاً واقلهم دهشاً ارحبهم ذرعاً . واوسعهم غنى اتقهم بما اوتي . واخضعهم عيشاً ابعدهم من الافراط واطهرهم جمالا اظهرهم حصافة

وآمنهم في الناس اكلمهم نأياً ومخلفاً

واثبتهم شهادة عليهم انطقهم عنهم

واندلم فيهم ادومهم مسائلة لهم

واحقهم بالنعم اشكرهم لما اوتي منها

افضل ما يورث الآباء الابناء الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون

فصل ما بين الدين والرأي ان الدين يسلم بالايمان وان الرأي يثبت بالخصومة فمن جعل

الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً ومن جعل الدين رأياً فقد صار شارباً ومن كان هو
يشرع لنفسه الدين فلا دين له

قد يشتبه الدين والرأي في اما كن لولا تشابهها لم يحتاجا الى الفصل
(للكتاب بقية)

الخاصة والعامة

قال الراغب : الناس ضربان خاص وعام فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق
دون التقليدات ومن الاعمال ما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة
الدنيا والعام اذا اعتبر بأمر الدين فالدين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر
الاعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بأمر الدنيا فالخاص ما يتخصص بأمر البلد
تما يختم من افتقاده احدى السياسات المدنية والعام ما لا يختم بافتقاده شيء منها . وهم من
وجه آخر ثلاثة خاصة وعامة واوساط والاوساط هم السمنون في كلام العرب بالسوفة
فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا يسوس والوسط هو الذي
يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه . ومن وجه آخر ثلاثة افسرب اصحاب الشهوات
ومهمهم الجدة واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة والرياسة ومهمهم المدح
واستحلاب الصيت والمعمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من
جنسه . قال بعض الحكماء : ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض
النبات ليكون الانسان مشاركا لها في الجنسية وان كان مائتاً لها في النوعية فمن الناس
غشوم كالاسد وعائث كالذئب وخبث كالثعلب وشره كالخنزير وجامع كالنمل ووغ كالذباب
وبليد كالحمار والوف كطير الوفاء وصنع كالسرفة (١) وآنف كالاسد والنمر وغبور كالذئب
وهادي كالحمار ومنهم حسن المنظر والمخير كالانرج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبوط
ومنهم قبيح المنظر حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالخنظل والدغلي
والمؤمن الخير هو في الحيوانات كالنمل يأخذ اطياب الاشجار ولا يقطف ثمرها ولا يكسر شجرها

(١) دوية تؤخذ بيتاً مربعاً من دقاق العبدان تجتمعها بثل غزل العنكبوت وفي المثل

اصنع من سرفة واخف من سرفة